الفصل الخامس

المـــطـــــــــر

تمهيد:

يعتبر المطر من أهم وأبرز مظاهر فصل الشتاء على الإطلاق وإن كان يظهر صيفًا في بعض البلاد ولكنه ارتبط في أغلب الأقطار والأمصار بفصل الشتاء من هنا كان لا بد لنا ونحن نتحدث عن فصل الشتاء أن نتعرض له بشيء من التفصيل ولذا آثرت أن أفرد له فصلًا خاصًا نتعرف فيه على أصل المطر وطبيعته وكيفية تكوينه وأهميته وفوائده وما فيه من إعجاز وما وراءه من أسرار ثم نختم بما ينبغي على المسلم أن يقوله أو يفعله عند نزول المطر.

المطر تعريفه وطبيعته:

للعلماء تعريفات كثيرة ومتعددة للمطر نستطيع أن نجملها في تعريف واحد وهو: الماء العذب الذي تجمع من بخار الماء الخارج من المسطحات المائية وصعد بفعل الرياح إلى الفضاء ثم تكاثف ثم نزل إلى الأرض في صورة مطر.

إذن المطر هو ماء ولا يخفى عليك أخي المسلم أهمية الماء بالنسبة للحياة والأحياء والذي يمثل مع الهواء عنصري الحياة فلا يمكن أن نتصور حياة بدون ماء ولا هواء والماء هو أصل كل ما فيه حياة يقول تعالى: "**وجعلنا من الماء كل شيء حي**". [١]

والماء هو مادة الخلق الأولى لكل ما يدب على الأرض "**والله خلق كل دابّة من ماء**"[٢] بل إن العلماء قالوا: إن أصل الكون كان عبارة عن الماء ثم خلقت اليابسة بعد ذلك بدليل قوله تعالى: "**وكان عرشه على الماء**"[٣] وعن كعب الاحبار قال: "**كانت الكعبة خُشعة على الماء ثم دُحيت الأرض من حولها** [٤]

كذلك فإن أهمية الماء لا تقتصر على الإنسان فقط بشكل مباشر بل هي مهمة جدًا للحيوان الذي سخَّره الله لخدمة الإنسان وكذلك للنبات الذي يتغذى عليه الإنسان والحيوان وعليه فإن الماء يدخل أيضًا في قوت الإنسان وطعامه يقول تعالى: " **وقدّر فيها أقواتها**" [٥]

---

(١) الأنبياء ٣٠
(٢) النور ٤٥
(٣) هود ٧
(٤) المعجم الكبير للطبراني حديث رقم ١٤١٥٤ موقوفًا على عبد الله بن عمرو ونصه (وضع البيت قبل الأرض بألفي سنة وكان البيت زبدة بيضاء وكان العرش على الماء وكانت الأرض تحته كأنها خشعة فدحيت منه) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد وقال: رجاله رجال الصحيح.
(٥) فصلت ١٠

مصدر المطر:

ظل الإنسان فترة طويلة يظن ويعتقد أن المطر ينزل من السماء وأن مصدر الماء في الكون إما من الأرض – العيون والآبار والبحار والأنهار – وإما من السماء كالمطر الذي تكونت منه الأنهار بمياهها العذبة. إلى أن تطورت البشرية وعرفت أن أصل المطر هو بخار الماء الصاعد من الأرض - المسطحات المائية – وعلى هذا يصبح مصدر الماء في الكون كله هو الأرض

ولم يلتفت المسلمون إلى هذه الحقيقة إلا قريبًا رغم أنها مُسَطّرة في كتاب ربنا منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان حينما أنزل على نبيه قوله تعالى: "**والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها**" [1] فماء الأرض خارج من الأرض، ولكن شاءت حكمة الله تعالى وتقديره أن يجعل جزءًا من هذا الماء يخرج من العيون والآبار وجزء آخر يخرج من المسطحات المائية – رغم أن أكثرها مالحة - في صورة بخار ماء من الأرض ليصعد ويتكاثف المالح منه ويتحلل في مصانع ربانية تقوم بفصل الملح عنه لينزل الى الأرض عذبا فراتاً سائغًا شرابه

ولعل هناك حكمًا أخرى وراء صعود بخار الماء من الأرض إلى الفضاء ثم عودته إلى الأرض في صورة مطرٍ عذبٍ بخلاف تكاثفه وفصل الملح عنه .

ولقد أشار ابن القيم إلى بعضها حين قال: "ثم تأمل الحكمة البالغة في نزول المطر من علو على الأرض ليعم بسقيها وُهَادها وتُلُولها وظرابها وآكامها ومنخفضها ومرتفعها ولو كان ربنا تعالى إنما يسقيها من ناحية من نواحيها لما أتي الماء على الناحية المرتفعة إلا إذا اجتمع في السفلى وكثر وذلك فساد فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها فينشئ سبحانه السحاب وهي روايا الأرض ثم يرسل الرياح فتحمل الماء من البحر وتلقحها به كما يُلقح الفحل الأنثى. [2]

هكذا يتبين لنا بعض الحكم من صعود الماء من الأرض ثم عودته مرة ثانية إذ لو لم يحدث ذلك فكيف يشرب من في أعالي الجبال والمرتفعات والهضاب؟ إلا إذا تجمع الماء في الوديان وفاض حتى يصعد إلى القمم الشاهقة وفي ذلك فساد كبير وهلاك لمن في الأودية والمنخفضات الذين هم أغلب من يسكنون الأرض وسنة الله في الكون قائمة على فعل الأصلح لخلقه.

---

(١) النازعات

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم ٣٢٣/١

سبب المطر:

اختلف العلماء في سبب المطر فمنهم من قال أنه طبيعي ومنهم من قال أنه إلهي **فالفريق الأول** قال: بان السبب في المطر هو بخار الماء الخارج من المسطحات المائية والذي يرتفع إلى الفضاء بفعل الهواء ثم يجتمع بعضه إلى بعض فيثقل ثم يحمله الهواء ويسير به فيحدث احتكاك بين السحب الكبيرة فينتج عنه الرعد والبرق ثم يسير حتى إذا ما اصطدم بمرتفعات أو كتل هوائية ساخنة نزل على الأرض في صورة أمطار. فهم يرجعون كل هذه المراحل إلى الطبيعة.

أما الفريق الثاني فيقول: أن كل مرحلة من هذه المراحل وراءها مسبب فليس هناك حركة في الكون بدون محرك.فإذا كان المطر يسببه بخار الماء فمن الذي سخَّن الماء في البحار والأنهار سواء بحرارة الشمس نهارًا أم بحرارة تنبعث من باطن الأرض ليلا تجعل الماء يسخن فيخرج بخار الماء.

ثم من الذي أرسل الرياح لتجمع هذا البخار وتصعد به إلى مستوى معين من الارتفاع تصل فيه درجة الحرارة إلى تحت الصفر ليتكون الجليد أو البَرَد ولو صعدت لأعلى من ذلك لتجمد الماء ولم ينزل ولو صعدت لأقل من هذا لَمَا حدث البَرَد والرعد والبرق

ثم من الذي سخَّر الهواء مع خفته أن يسير بهذه السحب الثقيلة جدًا من المياه بمسافات طويلة فيسخر لها من المرتفعات أو يقابلها بتيارات هوائية ساخنة في أماكن محددة مما يؤدي إلى سقوطها على هيئة أمطار فإذا كان لكل حركة لابد لها من محرك - وهذا مما يجزم به العقل بداهةً – فحركة بهذه الدقة وهذا التقدير لا بد أن يكون وراءها محرك حكيم هذا المحرك لا يشبه شيئًا من خلقه ذو طبيعة تختلف عن طبيعة كل المحسوسات وهو الله سبحانه تعالى.

ويمكن التقريب بين أصحاب الرأيَيْن بأن الفريق الأول وقف عند الأسباب المباشرة أما الفريق الآخر فأمعن النظر والاجتهاد مصحوبًا بالإيمان فوصل إلى المسبب الأول لهذه الأسباب والفاعل الحقيقي في الكون وهو الله .

رحلة تشكل الغيوم وتكون المطر

بعد محاولات كثيرة من العلماء لمعرفة كيفية تكوين المطر بدءً من تشكل الغيوم إلى نزول المطر وجدوا أن الغيوم تبدأ على شكل ذرات صغيرة من بخار الماء تتجمع من المسطحات المائية بواسطة الهواء ثم ينضم بعضها إلى بعض وتصعد إلى الفضاء على شكل غيوم صغيرة هذه الغيوم تظل ترتفع وفي طريقها تنضم إليها غيوم أخرى فتتراكم الغيوم الصغيرة على مثيلاتها فتكون غيومًا كبيرة ثم تتكاثف هذه الغيوم بفعل الشحنات الكهربية والغبار الموجود في الهواء وتظل تتراكم حتى تكون شكلًا هرميًا يشبه الجبل له قمة وقاعدة هذه الجبال من الغيوم تظل ترتفع في الفضاء حتى تصل إلى درجة برودة معينة وهو ما يسمى بالسطح البارد وبسبب درجة البرودة هذه يتكون في الغيوم قطرات من الماء باردة جدًا وهو ما يسمى بالبَرَد وعادة ما يكون هذا في قمة الجبل ثم ينزل إلى قاعدته ثم يأت تيار هوائي يعيده إلى وسط السحاب وعندها يتحول البَرَد من سائل إلى صلب فتتكون فيه شحنات كهربية موجبة وسالبة وبدوران البَرَدة الواحدة توزع الشحنات الموجبة والسالبة وعندما تصطدم الموجبة بالسالبة ينتج عنهما لمعان شديد يبرق فى الأفق لجزء من الثانية وهو ما يسمى بـ (البرق) .

ومن هنا يتبين لنا أن البرق لا يحدث إلا عند تكون البَرَد والذي لا يتكون بدوره إلا في السحاب الثقيل المتراكم أما السحب الصغيرة فلا يمكن أن ترى فيها برقًا ولا تسمع فيها رعدًا والغريب أن العلماء يشبهون هذه الغيوم المتراكمة بالجبال ويؤكدون على أنها تمتد في الفضاء إلى آلاف الأمتار ولا يمكن لأحد أن يقول ذلك إلا إذا رأى هذه الغيوم من فوق وهذا ما حدث بالفعل حينما صوَّروا ذلك بالأقمار الصناعية من فوق .

مرحلة سير الغيوم:

بعد تكون البَرَد في السحاب واحتكاك بعضها ببعض مما ينتج عنه الرعد والبرق تبدأ هذه الغيوم في التحرك عن طريق دفع الهواء لها فالهواء وحده على خفته هو الذي يحمل هذه الغيوم الثقيلة والتي يصل وزنها إلى آلاف البلايين من الأطنان

- ولا تعجب من هذا الوزن خاصّة إذا علمت أن مساحة المسطحات المائية التي يخرج منها بخار الماء تبلغ ٣٤٠ مليون كم مربع أي ثلثي مساحة الكرة الأرضية - ثم يتحرك بها الهواء إلى أن تصطدم بمرتفعات أو كتلة هوائية ساخنة فتبدأ بالنزول على شكل أمطار.

هذا ما وصل إليه العلماء مؤخرًا حيث أكدوا أن هذا هو التطور الطبيعي لقطرة المياه منذ أن تخرج من الأرض إلى أن تعود إليها في صورة مطر.

كشف قرآني:

إذن العلماء قد ذكروا الرحلة التي تمر بها قطرة البخار حتى تكون مطرًا وهم يؤكدون أن هذه الحركة حركة طبيعية وظاهرة كونية.لكن العقل البسيط يجزم أن حركة بهذا التنظيم والإحكام لا بد أن يكون وراءها منظم ومحرك حتى جاء القرآن الكريم وكشف لنا عن كل هذه المراحل بنفس الترتيب وبنفس الدقة يقول تعالى: "**ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار.....**" [1]

فتقرر الآية عدة حقائق وهي:

١- أنَّ المحرِّك لهذا كله هو الله.
٢- أن مراحل تكون هذه الغيوم في الآية هي نفسها التي ذكرها العلماء وبنفس الترتيب.
٣- الإشارة إلى الفترة الزمنية بين كل مرحلة من هذه المراحل والأخرى فمثلًا لما كانت المدة ما بين مرحلة سَوق بخار الماء من الأرض ومرحلة تجمعه والتأليف بينه طويلة لذلك عبر عنها القرآن بـ (ثم) التي تفيد الترتيب على التراخي وكذلك الأمر بين مرحلة الجمع ومرحلة التراكم ولكن لما كان البَرَد يتكون مباشرة بمجرد تراكم السحاب وبسرعة ناسب ذلك التعبير بـ (الفاء) التي تفيد الترتيب والتعقيب والسرعة.
٤- كما نلاحظ أن الآية وصفت الغيوم المتراكمة بالجبال وهو نفس الوصف الذي ذكره علماء الأرصاد وقد أشرنا إلى أنه لن يراها أحد هكذا إلا إذا رآها من فوق وهذا دليل على أن منزل المطر هو منزل القرآن.
٥- تؤكد الآية سبقًا آخرًا اكتشفه العلماء فيما بعد:
أن المتأمل في البرق يتأثر بصره سلبًا وإذا تصادف النظر مع البرقة قد يؤدي إلى ذهاب البصر كلية (**يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار**...)

لاحظ تذييل هذه الآية والذي يشير إلى أن ملاحظة هذه المراحل لا تحتاج لكثير من إعمال العقل ولكن فقط مجرد النظر في هذه المراحل يكفي للاعتبار "**إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**" ولعل تذييل الآية ـ الذي يشير إلى أن الأمر لا يحتاج إلا مجرد النظر ـ جاء متسقًا مع صدر الآية الذي يشير إلى مجرد الرؤية "**ألم تر**".

٦- أشارت الآية أيضًا إلى أن مُصَرِّف المطر وهو الله تعالى عندما يسوق الهواء ليحمل الغيوم ثم يسير بها إلى حيث أراد الله وفق حكمة لا يعلمها إلا

([1]) النور ٤٤

الله هذا يؤكد لنا أن نسبة المطر التي تنزل كل عام ثابتة لا تقل ولا تزيد عامًا بعد عام ولكنَّ الله تعالى يمطر أقوامًا ويمنع آخرين

يقول ابن عباس: "**ما من عام بأكثر مطرًا من عام ولكن الله تعالى يصرفه كيف يشاء**" [1]

ولقد اكتشف العلماء ذلك حينما علموا أن نسبة بخار الماء الخارج من المسطحات المائية ثابتة لأن مساحة المسطحات ثابتة أيضًا وبما أن نسبة البخار ثابتة فإن نسبة المطر المتولد من هذا البخار لا بد أن تكون أيضًا ثابتة لا تزيد ولا تنقص ولقد أشار ابن كثير إلى هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى: "**وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما نُنَزله إلا بقدر معلوم**"[2]

٧- نلحظ قوله تعالى: "**يقلب الله الليل والنهار**" جاءت جملة مستأنفة بين ثنايا وطيات الحديث عن مراحل تكون السحاب والمتأمل في ذلك لأول وهلة يلحظ أنها ليست لها علاقة بما قبلها ولكن الحقيقة أن لها علاقة قوية به حيث إنه أراد الانتقال من الاستدلال على الله بما قد يخفى على بعض الأبصار إلى الاستدلال عليه بما يشاهده كل ذي بصر كل يوم وهو الليل والنهار وهو ما لا يكاد يخفي على كل ذي بصر

فإذا كانت بعض مراحل تكون السحاب وما فيها من دليل على قدرة الله تخفى على بعض الناس فقد لفتهم وانتقل بهم إلى شيء محسوس ومشاهد من الجميع .

وهذا ترتيب بديع وتدرج حكيم في وضع الجملة بعد مراحل تكون السحاب.

٨- كلمة (عِبرة) تعبير دقيق جدًا يتناسب مع المقصود من الآية

فكلمة عبرة مأخوذة : إما من الاعتبار وهو الاتعاظ الذي يأخذ بصاحبه إلى إصلاح معتقده في أمر من الأمور التي غفل عنها،

وإما مأخوذة من العبور وهو الانتقال من مكان إلى مكان أفضل منه والعبور هنا معنوي ومعناه الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أفضل منها ومنه عبِّر أي انتقل من مرحلة الكلام النفسي إلى التعبير باللسان .

والمعنى: أن الإنسان الذي يرى كل هذه المعجزات الباهرات ينتقل من حال إلى حال أفضل منها فإن كان مُكَذِبًا بوجود الله فيصبح مصدقًا وإن كان مصدقًا يصبح متيقنًا ومن مؤمن إلى زائد الإيمان ومن عدم معرفته إلى معرفته أو من معرفته إلى معرفته بكافة صفات جلاله وجماله وقدرته وقيوميته .

فكأن الأبصار تنقل الشيء المُبَصَر أو المشاهد إلى العقل ليحلله ويستنبط ما فيه من دلائل قدرته تعالى فينتقل العقل من حال إلى حال. والله تعالى قد خلق في

---

(١) المطر والرعد والبرق لابن أبي الدنيا رقم ٢٣

(٢) الحجر ٢١ تفسير القرآن العظيم لابن كثير سورة الحجر.

الكون ظواهر وآيات لو تأملها الإنسان بنظر وتعقل لاستنبط منها ما يثري حياته ويرتقي بها فينتقل بذلك من حال إلى حال أفضل وهذا المقصود من العبرة.

بعض صور الإعجاز في ماء المطر

المطر نعمةٌ ومِنَّةٌ يَمُنُّ بها الله تعالى على أهل الأرض وقد أثبتنا فيما سبق أهميته بالنسبة للحياة والأحياء ثم يأتي العلم الحديث في قمة من قممه ليثبت لنا إعجازًا آخرًا في ماء المطر وطبيعته فلقد أثبت العلماء بعد تحليل ماء المطر ما يلي:

١- أن ماء المطر هو أنقى ماء على ظهر الأرض حيث تصل درجة نقاؤه إلى ١٠٠%.
٢- أن ماء المطر مقطر ومعقّم وله قدرة فائقة على إزالة الأوساخ وتطهير الجروح نظرًا لتكاثفه في السماء وهذه العملية تكون بمثابة عملية تنقية طبيعية على أعلى مستوى ولذلك يستخدمه الأطباء في تعقيم الجروح وبعد العمليات الجراحية – الماء المقطر –.
٣- أن ماء المطر خالٍ تمامًا من الفيروسات والميكروبات والجراثيم والبكتيريا الضارة.
٤- أن ماء المطر له قدرة فائقة على امتصاص المعادن وبعض الغازات السامَّة من الهواء مثل الكبريت والرصاص السامّ.

وبذلك يعتبر المطر من أفضل وسائل تطهير الجو ولعلنا نلحظ ذلك بأنفسنا فنجد الجو بعد نزول المطر صحوًا والهواء نقيًا بدرجة كبيرة.

٥- كما اكتشف العلماء أن ماء المطر له قدرة فائقة على تطهير بشرة الإنسان من الأوساخ والميكروبات والتقيحات وكثير من الأمراض الجلدية.
٦- كما أثبت العلماء أن ماء المطر يمد الجسم بطاقة كبيرة هذه الطاقة لها قدرة على تجديد خلايا الجسم فتعمل على تخلص الجسم من الخلايا الميتة وتساعده على خلق خلايا جديدة كما أثبتوا أن لهذه الطاقة أثرًا كبيرًا في رفع الروح المعنوية لدى الإنسان وتجديد الأمل عنده على مواجهة المشكلات الحياتية التي يتعرض لها لما يرى من قدرة الله على تغيير الواقع فيتجدد أمله. **ومن هذا يتبين لنا أن ماء المطر**

مطهر للجو – مطهر للجسم – مجدد للخلايا – مزود للطاقة – مجدد للأمل.

٧-المطر يزيد من خصوبة التربة: أثبت العلماء أن المطر يزيد من خصوبة التربة مما يجعلها صالحة للنبات كما أنهم اكتشفوا أن هناك نباتات لا تنمو إلا بماء المطر وإذا رويت بمياه أخرى قد لا تنبت أصلًا وإذا نبتت كانت ضعيفة وهزيلة ويقل إنتاجها أما إذا رويت بمياه المطر مباشرة فإنها تنضج سريعًا وتصحو ويتضاعف إنتاجها. [1]

---

(1) عبد الدايم الكحيل – موسوعة الإعجاز العلمي. ص ١٤٠

وجه الإعجاز:

إذا كان العلماء في العصر الحديث قد اكتشفوا بعضًا من خصائص وفوائد ماء المطر والتي ذكرنا جانبًا منها وقد اعتبروا ذلك سبقًا علميًا جديدًا فإننا نجد القرآن الكريم قد سبقهم إلى ذلك حينما أشار في أكثر من موضع إلى هذه الخصائص التي اكتشفها العلماء وهذا هو وجه الإعجاز في ذلك فمثلًا:

١- كل ما توصل إليه العلماء بخصوص نقاء ماء المطر ونظافته وقدرته على إزالة الأوساخ قد أشار القرآن الكريم إلى ذلك حينما قال: "**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** "[1] فكلمة طهورًا جمعت كل صفات النقاء في ماء المطر وما يُحدثه من تطهير للجسم والجو.

٢- أما عن الطاقة التي اكتشفها العلماء في ماء المطر:

فقد أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: " **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ** " [2] فالآية وإن كانت قد نزلت في أحداث غزوة بدر الكبرى إلا أن الآية تشير إلى قدرة الماء على التطهير وعلى دفع وساوس الشيطان وتثبيت القلوب وإعطائها دفعة معنوية وطاقة وقدرة أخرى على تثبيت الأقدام الذي يدور بين معنيين:

إما تثبيت معنوي وذلك عن طريق دفع وساوس الشيطان وإعطاء المسلمين الأمل في النصر بعد ما رأوا الفرج فى المطر.و

إما تثبيت حسي وذلك لأن أرض المعركة كانت رملية فلما نزل عليها الماء واختلط بالتراب ثبتت الأرض تحت أقدام المؤمنين بعد أن كادت تسيخ أقدامهم فيها.

والجدير بالذكر أن بعض العلماء أجازوا الاغتسال بماء المطر للشفاء من المس الجِنِّي ، والشيطاني ، والسحر، والحسد ، واستدلوا بهذه الآية ولأنه ماء مبارك "**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا**" [3] هذا بالإضافة إلى أنَّ الشيطان خلق من نار ولا يطفئ النار إلا الماء ولذلك أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم عند الغضب أن نتوضأ بالماء لأن الغضب من الشيطان والشيطان من النار فلا يصرفه إلا الماء ومن هنا نعلم أن مجرد سكب الماء البارد طارد للشيطان وحارق له فكيف بماء المطر أثناء نزوله بقوة من هذه الارتفاعات .

---

(١) الفرقان ٤٨
(٢) الأنفال ١١
(٣) ق ٩

٣-أما عن تجديد الأمل عند نزول المطر فإن الله تعالى يشير إلى هذا المعنى بقوله: **"اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ** [١] انظر كلمة **(يستبشرون)** عند نزول المطر وانظر كيف صوَّر حالهم قبل نزول المطر من اليأس والقنوط الذي تشير إليه كلمة **(لمبلسين)** أي يائسين بائسين .

٤- أما عن تجديد خلايا الجسم واستبدال الخلايا الميتة بالحية فظاهر في أكثر من موضع في القرآن الكريم حينما أشار الله تعالى بأن المطر يحيي به موات الأرض بكل ما فيها فكيف لا يحيي بعض ما مات من خلايا الجسم من باب أولى. يقول تعالى: " **وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** "[٢] ويقول أيضًا: **"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** "[٣] ويقول أيضًا: **"وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ** " [٤] فالذي أحيا الأرض وما عليها بهذا الماء وسيحيي به الموتى من قبورهم أيعجز أن يحيي بعض خلايا الجسم التي ماتت أو يستبدلها بغيرها أفضل منها سبحانه قادر على كل شيء .

---

(١) الروم ٤٨، ٤٩
(٢) الحج ٥
(٣) فصلت ٩
(٤) النحل ٦٥

المطر دليل على البعث

أولاً أدلة القرآن على ذلك :

اعلم أولاً أنَّ كل ما في الدنيا مُذكِّر بالآخرة ودليل عليها فإنبات الأرض واخضرارها في الربيع بعد يبسها يدل على بعث الله الموتى من الأرض وهذا الاخضرار لا يحدث إلا عند نزول المطر عليها فما أن تلتقي حبات المطر مع حبيبات التربة اليابسة إلا وتجدها تهتز خضرة وتدبُّ فيها الحياة بعد أن لم تكن فيها حياة أصلًا.

أو ليس الذي أنبت الأخضر من اليابس بقادر على أن ينبت جسم الإنسان وعظامه بعد أن أرمت. ولقد ساق لنا الحق تبارك وتعالى المطر كدليل عملي وبرهان ساطع على إمكان تحقق ووقوع البعث بعد الموت وذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم ففي سورة الحج جاء ذلك تعقيبًا على مجادلة منكري البعث يقول تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا**" [١] بعد ما ذكر كيفية الخلق الأول عقَّب بعده بذكر كيفية الخلق الثاني (البعث) فقال: " **وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** [٢] ويقول في موضع آخر: " **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)" [٣]

ولذلك تجد القرآن يحثنا ويأمرنا بضرورة الاعتبار والتفكر عند نزول المطر وبعده وما يعقبه من بعث الحياة في الأرض الميتة هذا التفكر ليس فقط لإدراك أن الله هو الذي يدبر هذا كله ولكن لأن هذا المشهد يورث في النفس يقينًا بأن الذي يحيي الأرض قادرٌ على أن يحيي الإنسان مرة ثانية يقول تعالى: " **فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** " [٤]

فوا عجبًا لعبد لا يُذكِّره المطر برحمة الله البالغة في بعث الحياة من الماء ولا يدفعه ذلك إلى اليقين بالبعث بعد الموت "**وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ**

---

(١) الحج ٥
(٢) الحج ٥-٧
(٣) فصلت ٣٩
(٤) الروم ٥٠

جَدِيدٍ" [1] يقول ابن القيم: "جعل الله سبحانه وتعالى إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات وجعل إخراج النبات منها نظير إخراجهم من القبور ودل بالنظير على نظيره وجعل ذلك آية" [2] ويؤكد الحق تبارك وتعالى على أن تصريف المطر للناس ليذكرهم بالبعث بعد الموت فقال تعالى: " **وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**" [3]

وإذا كانت هذه جملة من الآيات التي تسوق المطر كدليل على البعث فإن هناك آيات أخرى تؤكد أن إحياء الموتى سيكون بنفس الطريقة وهي نزول ماء من السماء على الموتى في قبورهم فيحيون كما يحي النبات تمامًا يقول تعالى: " **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**" [4] أي بنفس طريقة إخراج النبات سنخرج الموتى.

وغالبًا ما يتكرر ذلك في القرآن الكريم ردًا على منكري البعث كما ورد في بدايات سورة ق " **أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** (٣)" [5] ثم يسوق لهم المولى تبارك وتعالى عدة أدلة على قدرته على البعث على طريقة (قياس الأَولَىَ) فقال: " **أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ** " [6] كأنه يقول أن الذي خلق السماوات بهذا الإحكام وبسط الأرض وسَهَّلها وأخرج منها النباتات قادر بالأوْلى أن يخلق الإنسان مرة ثانية بعد الموت

ثم يُعقِّب بعد ذلك بذكر المطر كدليل على البعث وطريقة وكيفية هذا البعث فقال:" **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌرِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ** "(٧) أي وكذلك خروجكم من القبور

---

(١) الرعد ٥
(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم ج١ ص ١٤٥.
(٣) الفرقان ٤٨-٥٠
(٤) الأعراف ٥٧
(٥) ق ٣
(٦) ق ٦-٧
(٧) ق ٩-١١

ثانيا أدلة السنة النبوية على ذلك :

وعلى نفس النهج جاءت السنة المطهرة تؤكد ذلك وتوضحه فعن أبي رزين قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم: **كيف يحي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "أمَا مررت بوادٍ أهلك محلا[1] ؟ قال بلى، قال أمَا مررت به يهتز خضرًا؟ قال: بلى، قال: ثم مررت به محلًا؟ قال: بلى، قال صلى الله عليه وسلم: فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه."** [2]

يوضح النبي صلى الله عليه وسلم لأبي رزين الدليل العقلي على إحياء الموتى فقال له ألم تر يومًا واديًا قفرًا لا زرع فيه ولا ماء ثم مررت على نفس الوادي بعد فترة وقد نزل عليه المطر فأنبت واخضَرَّ ثم بعد أن كبر النبات وعظم عاد يابسًا مرة ثانية بعد أن انقطع عنه الماء .

فهكذا يحيي الله الموتى وهذه هي علامة ذلك في خلقه.

ثم يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم كيفية ذلك في حديث آخر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: **"ما بين النفختين أربعون يومًا، قال: أبَيت[3] قالوا: أربعون شهرًا؟ قال أبَيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال أبَيتُ، قال ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل ليس في الإنسان شيء إلا يَبلى إلا عظمًا واحدًا وهو عَجَب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة"** [4] ويقول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: **"إن في الإنسان عظمًا لا تأكله الأرض أبدًا فيه يركب يوم القيامة قيل: أي عظم يا رسول الله؟ قال: عجب الذنب[5]"** [6]

يوضح النبي صلى الله عليه وسلم في الحديثين السابقين كيف يحي الله الموتى بنفس طريقة إحياء النبات ولله در القائل:

تَفَكَّر في نبـــــات الأرض ... وانظر إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين نـــــاظرات ... بأحداق هي الذهب السبيـــــك

على قصب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريـــــــــك

([1]) قفرًا: لا زرع فيه ولا ماء

([2]) الحاكم في مستدركه حديث رقم ٨٦٨٢ وقال حديث صحيح ووافقه الذهبي

([3]) أي أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يومًا

([4]) رواه البخاري رقم ٤٩٣٥

([5]) عجب الذنب: عظم في مؤخرة العمود الفقري في حجم حبة الخردل .

([6]) رواه مسلم رقم ٢٩٥٥ كتاب الفتن وأشراط الساعة.

ما ينبغي عند المطر

بعد أن عرضنا جانبًا كبيرًا من فوائد المطر وإعجاز الله فيه وأهميته بالنسبة للحياة والأحياء

فما الذي ينبغي علينا عند نزول المطر:

١- **أن نتعرض لشيء من مياه المطر** حتى نلتمس ما فيه من البركة والطهر والنقاء وقد سبق أن عرضنا أهمية ماء المطر بالنسبة لجسم الإنسان .

وهذا ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **"أصابنا مطر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه حتى أصابه المطر فقلنا يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه تعالى"**[١]

٢- **أن نكثر من الدعاء**: كان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى مطرًا أن يكثر من الدعاء لأن المطر مظنة نزول الرحمة ولأن أبواب السماء تكون مفتوحة والمؤمن الفطن هو الذي يتحرى الأوقات التي يغلب فيها استجابة الدعاء،

فكان من دعائه صلى الله عليه وسلم عند المطر "**اللهم صيبًا نافعًا**" وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى مطرًا قال: **"رحمة"** [٢]

وعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ثنتان ما تُردَان: الدعاء عند النداء- أى للجهاد-، وتحت المطر"** [٣]

٣- **أن نعلم أن الأمطار رحمة من الله** تعالى لنا وغوث فعن خالد بن زيد رضي الله عنه قال: كان صلى الله عليه وسلم يقول عند المطر: **"مُطِرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله"**[٤]

٤- **الدعاء بصرف ضرره**

إذا كثر المطر وخيف ضرره كالسيول المدمرة والفيضانات والأعاصير يسن للمسلم أن يدعو الله أن يصرف عنه ضرره ويصيبهم بثمرته فقد كان النبي صلى الله عليه

---

(١) رواه مسلم رقم ٨٩٨
(٢) رواه مسلم رقم ٨٩٩
(٣) الترمذى رقم ٣١٣
(٤) رواه البخاري رقم ٣٠١٦

وسلم إذا كثر المطر وخِيف ضرره قال: "**اللهم حوالينا لا علينا اللهم على الآكام**[١] **والجبال والآجام**[٢] **والظِراب والأودية ومنابت الشجر**"[٣]

٥- **أن نسأل الله تعالى أن يطعمنا به** ويجعله سببًا في الإنبات وينفعنا به لأنه قد تمطر السماء ولا نستفيد من آثار هذا المطر يقول صلى الله عليه وسلم "**ليست السَّنَة**[٤] **ألا تمطروا ولكن السّنَة أن تُمطروا وتُمطروا ولا تنبت الأرض شيئًا**" [٥] يوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن السَّنَة ويقصد بها الفقر والجدب ومنه قوله تعالى :"**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**" [٦] فليس الفقر هو عدم المطر ولكن الفقر هو الحرمان مما يترتب على المطر من آثار من سقيا وغوث للإنسان والحيوان والنبات. والحكمة تقول: "**ليس المراد من السحابة الإمطار ولكن المراد من السحابة الإثمار**"، فقد تمطر السماء وتمسك الأرض الماء ولا تنتفع به أو يغور في الأرض ولا ينتفع به كما قال تعالى:" **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ** (٣٠)"[٧]
وحينئذ يكون المطر نوعًا من العذاب أشد وأقوى من عدم المطر أصلًا وذلك لأن حصول الشدة بعد توقع الرجاء أفظع وأشد عقابًا مما إذا كان اليأس حاصلًا من أول الأمر .

٦- **وجوب التفكر والنظر والاعتبار عند نزول المطر** وما ينتج عنه من آثار لأن ساعة نزول المطر مقام رحمة بالغة ونعمة سابغة وأن نعتبر بما ينتج عنه من آثار ونتخذ منه عبرة تذكرنا بقدرة الله على إحياء الأرض وإنباتها مما يدلنا على تحقق وقوع البعث بعد الموت فالذي يستطيع أن يحي الأرض بهذا الماء لا يعجزه أن يحيي الإنسان بهذا الماء أيضًا وها هو القرآن يأمرنا بالنظر والتدبر في هذا المقام: " **فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** " [٨]
ويوضح في آية أخرى أن الله قد صرّف المطر لنتذكر ولنعتبر ونتعظ ولكن كثيرًا من الناس لا يلتفتون لذلك ولا يعترفون به يقول تعالى: " **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**[٩]

---

(١) الآكام: الهضاب.
(٢) الآجام: منبت القصب.
(٣) رواه البخاري رقم ٩٦٧
(٤) السنة: الفقر والقحط والجدب
(٥) رواه مسلم رقم ٢٩٠٤
(٦) الأعراف ١٣٠
(٧) الملك ٣٠
(٨) الروم ٥٠
(٩) الفرقان ٥٠

٧- **أن نستبشر بالخير عند نزول المطر** وبقرب الفرج فنزول المطر يعطينا الأمل دائمًا في تفريج كل الكروب ولنعرف أن الله تعالى كما فَرَّج بالمطر القحط والجدب قادر على أن يفرج كل كرب والقرآن الكريم يصور ذلك المشهد أبدع تصوير حينما يصف حال الناس قبل نزول المطر عليهم بالقنوط واليأس ثم يصور حالهم بعد المطر بالاستبشار والأمل تأمل حين يصف المطر بالغيث يقول تعالى: "**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** " [١] ويقول أيضًا: " **فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ**"[٢]
أي يائسين.

٨- **أن نحمد الله ونشكره أن جعله عذبًا** ولم يجعله مالحًا يقول تعالى: **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ**[٣] **أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ** " [٤] **أجاجا أي مالحاً**

٩- **أن نسأل الله تعالى ألا يجعله عذابًا ونكالًا** كما أرسله على أقوام آخرين فالمطر من جنود الله تعالى يرسله بالرحمة على أقوام وبالعذاب على آخرين مثل قوم نوح الذين أهلكهم الله بالمطر والفيضان يقول تعالى: "**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ** " [٥] وكذلك قوم لوط: "**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ**"[٦]، وكذلك قوم سبأ: "**فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ**"[٧].

١٠- **ألاّ نأتي من المنكرات ما يستوجب القحط والجدب** ويستنزل السخط من الله فقد يُمنَع أقوامٌ المطر بسبب ذنوبهم وتقصيرهم في أداء ما فرض الله عليهم وإذا أُمطروا مع ذنوبهم فقد يكون بسبب كائنات أخرى أقل منهم يقول تعالى: " **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ** " [٨]تأمل كيف قَدَّم الله تعالى الأنعام على الأنفس في إشارة إلى أنهم قد يُمطَروا بسبب هذه الدواب والأنعام التي لا تقترف ذنبًا مثلكم فما ذنبها أن تحرم الماء والنبات بسبب ذنوبكم أنتم؟

وإلى هذا المعنى أشار النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يقول فيه: "**يا معشر المهاجرين خمسٌ إن ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، ما عمت الفاحشة في قوم حتى يُعلِنوا بها إلا فشَت فيهم الأوجاع والأمراض التي لم تكن في**

---

(١) الشورى ٢٨
(٢) الروم ٤٩
(٣) المزن: السحاب المحمل بالماء.
(٤) الواقعة: ٦٨-٧٠
(٥) القمر: ١١، ١٢
(٦) النمل ٥٨
(٧) سبأ ١٦
(٨) السجدة ٢٧

أسلافهم، وما نقض قومٌ عهد الله وعهد رسوله إلا سَلّط عليهم عدوًا من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما منع قومٌ زكاة أموالهم إلا مُنِعُوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا وما نقص قومٌ المكيال والميزان إلا أُخِذُوا بالسنين ونقص المؤنة وجور السلطان، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم"[1]
والشاهد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم **"ولولا البهائم لم يمطروا"**

أى قد نُمطَربسبب البهائم وليس بسببنا نحن

([1]) رواه الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٥٨٣ رقم ٨٦٢٣ والطبراني في الأوسط رقم ٤٦٧١ ج ٥ ص ٦٢

ظاهرتا الرعد والبرق

وتتمةً للحديث عن المطر يجب أن نشير إلى ظاهرتين مصاحبتين للمطر وهما الرعد والبرق فما هما؟ وما الذي ينبغي علينا عند حدوثها؟

أما البرق فهو عبارة عن: لمعان شديد من النور يظهر في الأفق ثم يختفي في جزء من الثانية، وسمي بذلك لأنه يبرق ويختفي سريعًا .

سببه: والبرق ظاهرة تنتج من أثر احتكاك ذرات البَرَد في الغيوم الكثيفة عندما تصل إلى درجة التجمد أو الصلابة هذه الذرات بها شحنات كهربية موجبة وسالبة فعندما تحتك الموجبة بالسالبة ينشأ عن هذا الإحتكاك هذا اللمعان

وهذا لا يحدث إلا عند المطر الشديد والغيوم الثقيلة المتراكمة بعضها فوق بعض يقول تعالى: " **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ** [1]

الرعد:

أما الرعد فقيل أنه صوت قوي ينشأ من احتكاك هذه السحب والغيوم الكثيفة بعد أن تحولت من الحالة السائلة إلى الحالة الصلبة.

وقيل إنه صوت المَلَك الموكل بتصريف المطر من مكان إلى مكان حسب المشيئة الإلهية .

([1]) الرعد ١٢

ما ينبغي عندهما

١) **أما البرق فينبغي علينا عندما نراه ألاّ ننظر** فيه لما له من تأثير كبير على العين لأنه نور شديد لا تستطيع العين أن تتحمله ومن يُعَرِّض نفسه للبرق قد يؤدي به إلى العمى والعياذ بالله يقول تعالى: **" يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ"**[١]

٢) **أن نسأل الله أن يؤمننا من خوفه** ويشملنا برحمته يقول تعالى: **"هو الذى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا"** أي خوفًا من صواعقه وطمعًا فيما يرجي منه من الغيث والخير.

أما الرعد فيستحب عند سماعه:

١) أن نقول كما كان يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم عند سماعه: **"اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك"** [٢]

٢) أن نعرف أنه وعيد من الله فلنحذر وعيده يقول صلى الله عليه وسلم: **"إنما الرعد وعيد من الله فإذا سمعتموه فأمسِكوا عن الحديث"** [٣]

٣) أن نُسَبِّح بحمد الله يقول ابن عباس رضي الله عنه **"من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقه فعليّ ديته"** [٤] وعنه أيضًا قال: **من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته لم تصبه صاعقة أبدًا"** [٥]

وعن كعب رضي الله عنه قال: **"من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمد والملائكة من خيفته ثلاثًا عوفي مما يكون في ذلك الرعد"** [٦]

٤) أن نكثر من ذكر الله يقول صلى الله عليه وسلم: **"إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكرًا"** [٧]

وجاء في الخبر أن سليمان بن داود عليهما السلام كان يمشي مع أبيه وهو غلام صغير إذ سمع صوت الرعد فخرّ فلصق بفخذ أبيه فقال له أبوه: **"يا بني هذا صوت مقدمات رحمته فكيف بمقدمات غضبه"** [٨]

هكذا نرى أيضًا كيف يكون فصل الشتاء فصل خير وعبادة وأجر عظيم وثواب جزيل ولكن لمن يتفكر فيه وينظر إليه نظرة إمعان وتفكر وتدبر فيحصل لهم

---

(١) النور ٤٣
(٢) الحاكم في مستدركه حديث رقم ٧٧٧٢ وقال حديث صحيح والطبراني في الدعاء رقم ٩٨١
(٣) السنن الكبرى للبيهقي رقم ٦٢٦٣
(٤) من سنن سعيد بن منصور – التفسير ٤٣٢/٥ ط دار الصميعي وعلق عليه المحقق بأنه ضعيف.
(٥) حلية الأولياء ٥/ ١٥٠ دار السعادة موقوفًا على عبد الله بن أبي زكريا.
(٦) الدعاء للطبراني رقم ٩٨٥
(٧) الدعاء للطبراني رقم ٩٨٢ ص ٣٠٤
(٨) مكارم الأخلاق للخرائطي ط دار الآفاق العربية ص ٣٣٠

الاعتبار وعندها يتضاعف الأجر ويكون فصل الشتاء للمؤمن ربيعًا يتقلب فيه بين كثير من العبادات ويُحَصِّل فيه كثيرًا من الحسنات ويشعر فيه بلذة العبادة ومتعة القرب من ربه أكثر من المتعة التي تحدث له في فصل الربيع الذي يتقلب فيه بين متع كثيرة أيضًا

فهلّا تأملنا وتدبرنا والتفتنا إلى عظمة هذا الفصل!!!